

أضواء البيان

@ 445 (أو كرهاً) ، لأن المؤمن يطيع باختياره والكافر مذعن منقاد لقضاء ربه جبراً عليه ، وهذا القول رواه ابن جرير عن ابن عباس واختاره ، ويدل له قوله تعالى : { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا } ، والسجود والعبادة كلاهما خضوع وتذلل جل وعلا ، وقد دلت الآية على أن بعضهم يفعل ذلك طوعاً وبعضهم يفعله كرهاً . .

وعن مجاهد أنه قال : { إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } : أي إلا ليعرفوني . واستدل بعضهم لهذا القول بقوله : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } ونحو ذلك من الآيات . وهو كثير في القرآن ، وقد أوضحنا كثرتة فيه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى { إِنْ هَآذِهِ الْقُرْءَانُ يَهْدِي لِلَّتَّى هِيَ أَقْوَمُ } .

وقال بعض أهل العلم : وهو مروي عن مجاهد أيضاً معنى قوله : { إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } : أي إلا لأمرهم بعبادتي فيعبدني من وفقته منهم لعبادتي دون غيره ، وعلى هذا القول : فإرادة عبادتهم المدلول عليها باللام في قوله : { لِيَعْبُدُونِ } إرادة دينية شرعية وهي الملازمة للأمر ، وهي عامة لجميع من أمرتهم الرسل لطاعة الله لا إرادة كونية قدرية ، لأنها لو كانت كذلك لعبدته جميع الإنس والجن ، والواقع خلاف ذلك بدليل قوله تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمُ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } إلى آخر السورة . .

قال مقبده عفا الله عنه وغفر له : التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية الكريمة { إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } ، أي إلا لأمرهم بعبادتي وأبتليهم أي أختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية ، لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله ، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملاً ، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم . .

قال تعالى في أول سورة هود : { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } في سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } ، ثم بين الحكمة في ذلك فقال : { لِيَعْلَمَ أَهْلُكُمْ أَتَعْبُدُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ } .

